Issn : 2830-912X
2021
حفريّات المعرفة
Hafriyat Al-marefa
Vol01 المجلد01
Num02 العدد02

النص الروائي مساءلة التاريخ –الرماد الذي غسل الماء لعز الدين جلاوجي أنموذجا –

The fictional text questioning history - The Ashes That Washed the Water by Izz al-Din Jalawji as an example -

أمال أحباب

Amal Ahbab

amalahbab8@gmail.com

University Center of Tipaza

الملخص :

شهدت الدول العربية تحولات كبرى في وضعها الراهن نتيجة لتوالي الاستعمارات وعليه ظهرت روايات ما بعد الحداثة لتعكس أحداث فترة معينه تمثل أزمة معينة وذلك نظرا لأنها جاءت معبرة عن أحداث انتقالية شكلت تغيرت عميقة في متون الأدب عامة والرواية خاصة ،وعليه نسعى من خلال

هاته الورقة العلمية الى رصد تمثلات التاريخ الجزائري المعاصر في رواية الرماد الذي غسل الماء لعز الدين جلاوجي "،فما هو مفهوم الرواية المابعد حداثية وما هي مميزاتها ومواضيعها ؟ ،و هل يمكننا القول أن حضور التاريخ في النص الروائي يلغي عنه خصائصه جماليته الفنية الأدبية وهل وفق عزالدين جلاوجي في تمثيل التاريخ الجزائري المعاصر في روايته الرماد الذي غسل الماء ؟.

الكلمات المفتاحية: رواية ما بعد الحداثة ،عز الدين جلاوجي ،التاريخ ،الرماد الذي غسل الماء

مقدمة:

حظي النص الجلاوجي بالعديد من التمثلات التاريخية كونه يمثل نبض سير أحداث أعماله الروائية هذا ما ساهم في جعل رواياته ذات طبيعة ديناميكية

حركية اضافة الى أنها تعبر عن أحداث مكتملة تعود بنا الى التاريخ لتكتمل أحداث الرواية ،فهو مصدر ملهم ومثير ومحرض له كونه يفتح كوامن الذاكرة ويتفاعل مع الروح البشرية مدا وجزرا ،وان المتأمل للنصوص الروائية الجلاوجية ، سيجد العديد من المؤشرات التاريخية التي تتداخل مع الزمن هذا ما جعله ينتج نصوص روائية ذا ت أحداث دقيقة مبدعة يتناغم وينسجم فيها التاريخ والأدب والخيال والتخييل وعليه جاءت هاته المداخلة موسومة ب: **النص الروائي ومسائلة التاريخ ،رواية الرماد الذي غسل الماء لعز الدين جلاوجي أنموذجا** ،وعليه نطرح ما يلي : ما هو مفهوم الخطاب ؟،وهل تغير مفهوم السرد بين عصر الحداثة وما بعدها ؟،وماهي تقنيات الكتابة في السرد المابعد الحداثي ؟وماهي علاقة الرواية بالتاريخ وما الذي أضافه لها ؟،وهل وفق عزالدين جلاوجي في استحضار التاريخ الجزائري في منجزه الروائي الرماد الذي غسل الماء .؟

للإجابة عن هذا الاشكال قمنا بالخطة التالية :***مقدمة**

1-ماهية الخطاب بين اللغة والاصطلاح

2-مفهوم السرد في عصر الحداثة وما بعدها

3-تقنيات السرد مابعد الحداثي

4- علاقة الرواية بالتاريخ

5-قراءة في رواية الرماد الذي غسل الماء بين الشكل والمضمون

6- تمثلات التاريخ في رواية الرماد الذي غسل الماء بين زمن الثورة والعصر المعاصر

***خاتمة** ،أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع نذكر ذاتيا :الرغبة في الغوص في أعماق المنجز الروائي لعز الدين جلاوجي وخاصة في روايته "الرماد الذي غسل الماء "كونها تمثل عالما مليئا بالصراعات والأحداث والآمال والأحلام التي تثير مشاعر القارئ خاصة من خلال استنادها للخيال والتخييل في التعبير عن مرحلة مهمة في تاريخ الجزائر وكذا الرغبة في تعزيز فعاليات الملتقى ،أما موضوعيا الرغبة في تحليل الرواية وكشف أسرارها العميقة من خلال استجلاء تمظهرات التاريخ فيها إضافة الى أن هاته الرواية تحديد تستدعي العديد من القراءات كون أن لها صلة وثيقة بالواقع الجزائري وكذا تكوين صورة عن التاريخ الجزائري ابان العشرية الدامية ،أما الهدف من البحث نختزله في :**كشف تمظهرات التاريخ الجزائري المعاصر من خلال رواية الرماد الذي غسل الماء** ،ومن المناهج المعتمد عليها

نذكر المنهج الوصفي التحليلي مع الاستعانة باليتي الاستقراء والاستنباط ومن المراجع المعتمدة نذكر :

–محمد محمد حسن طبيل، تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي

–إبراهيم السعافين فن الرواية في الأردن

–عز الدين جلاوجي، ا لرماد الذي غسل الماء

وفي الختام جزيل الشكل والعرفان لكل القائمين على هذا المحفل العلمي

1– ماهية الخطاب بين اللغة والاصطلاح:

لقد حظي مصطلح الخطاب باهتمام العديد من الدارسين ففي المفهوم اللغوي جاء في لسان العرب "**لابن منظور**" في مادة "خ ط ب" "**الخطاب هو مراجعة الكلام ونقد خاطبه بالكلام مخاطبه وخطابا وهما يتخاطبان والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن**"[1]،أ ي أنه يعني بالخطاب هو المشاركة بين الطرفين أو أكثر في الكلام والقول القائم على التبادل اللغوي والفكري ،**أما "الزمخشري" "يفسر الزمخشري "فصل الخطاب" بقوله :انه ليس**

[1] -ابن منظور، لسان العرب، ج2 مادة "خ ط ب «دار المعارف، مصر، ط3، د.ت، ص85

من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه "[2]، هذا التفسير يتضمن عناصر الخطاب من مخاطب ومخاطب وخطاب ،أما عن أصول هذا المصطلح فهي تعود الى التراث الفلسفي اليوناني عند "**أفلاطون** "وفي عصر النهضة يأتي" كتاب "**رينه ديكارت "خطاب في المنهج" ليشكل علامة في هذا العصر البارز فقد أراد "ديكارت" أن يتجاوز رجال الكنيسة ويسمع صوته لعامة المثقفين** "[3]،ومنه تتجلى أهمية كتاب ديكارت يكمن في كونه أساسيا للخطاب أكثر مما هو تفسير وتحديد للمفهوم ذاته وارتبط كذلك مفهوم الخطاب بظهور مؤلفات" ميشال فوكو "وكذلك ارتبط بالفلسفة والمنطق فهو :"**عملية عقلية منظمة تنظيما منطقيا أو عملية مركبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ والقضايا التي ترتبط ببعضها البعض** "[4]وعرفه "فوكو "بقوله "**انه شكل أساسي وضروري للفلسفة وغير الفلسفة في كافة مجالات المعرفة الإنسانية** "[5]معناه

---

[2] -الزمخشري، الكشاف، دار الفكر بيروت، ط1 ،1977، ص81-90

[3] -عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة مكتبة مديولي، القاهرة، ط2 ،1999، ص598

[4] -جمال صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1 ،1978، ص204

[5] -ابن منظور، لسان العرب، (المصدر السابق)، ص86

هو عملية عقلية منظمة تنظيما منطقيا ،أو عملية مركبة من سلسلة من المعلومات أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ والقضايا التي يرتبط بعضها ببعض وهو مرادف للكلام

.

2-ماهية السرد بين عصر الحداثة وما بعدها:

مثلت الحداثة وما بعد الحداثة مراحل تاريخية مهمة ظهرت ابان فترة تاريخية محددة ،حيث يسعى أدب الحداثة في البحث عن القيم والمعاني فب عالم الفوضى مما يفسر توجه الأديب الى استجلاء الجمال ومحاولة التنسيق لتحقيق الوحدة والانسجام من خلال عمله الإبداعي لكنه من ناحية أخرى يواجه صراعا وجوديا ناتج عن ذاك التغير الذي مس بالعالم وواقعه مما يستدعي تزامنه مع لحظات انعدام المعنى أما سرد ما بعد الحداثة فهو :" **يطبق فوضى الوجود المعاصر بمختلف أشكاله ويسعى الى تفكيك اتفاقيات القصة من أحل فضح زيف الأسطورة التي تروج لنظم عقائدية مستندة الى الوهم**"[6] وهو بذلك انقلاب

[6] -هي ساوما واخرون، جماليات ما وراء القص «دراسات في رواية ما بعد الحداثة «، تر. أماني أبو رحمة، د.ط د.ت، ص39

وكسر وتجاوز لكل قواعد السرد المعروفة وانتهاك للثالوث المتمثل في الجنس الدين والسياسة، ليفضح ما تروج له الرواية الحديثة.

3-تقنيات السرد ما بعد الحداثي

شهد السرد ما بعد الحداثي تتعددا في تقنياته نظرا لطبيعة هذا النص ومواضيعه ونذكر منها :"**كسر التتابع الزمني في الأحداث ،الخروج عن المألوف في الحبكة الروتينية المتصاعدة في رتابة متوقعة ،تحرير السرد من الحبكة المعنية بتطوير حدث مركزي ،شد انتباه القارئ الى عملية السرد أكثر من شد انتباهه الى موضوع السرد ،زوال سلطة الأبوية...تمييع الحدود بين سلطة البطل والراوي ،اللجوء الى الرمزية بكل أشكالها المتنوعة ،توظيف التناص وتقنيات متنوعة من الباروديا والمعارضة والمفارقة ... عدم تقديم أسئلة وحلول من قبل الكاتب وتهجين النص من خلال تحميله أجناس متعددة** "[7]

[7] -إبراهيم طه، مراجعة في كتاب "الرواية بين الواقعية والحداثة وما بعد الحداثة، لستيفان ماير، مجلة الكرمل، فلسطين، ع21 ،2000، ص373،365

وهي بذلك مجموعة من الخصائص التي تنطبق على السرد المابعد حداثي بالرغم من اختلاف مؤلفيه .

4-علاقة الرواية بالتاريخ:

يرى معظم الدارسون أن هناك علاقة بين الرواية والتاريخ فالرواية التاريخية ماهي الانوع روائي، متطور عن الرواية التقليدية فالرواية صارت تستند للمعطى التاريخي على مستويات متباينة تتمثل في : التقنيات ،الأغراض وذلك من خلال المزج بين التاريخ والتخييل "**حيث تحولت الرواية التاريخية تحولا جادا نحو إقرار مزيد من الأدبية التي تستخدم التاريخ كمادة خام لغايات إبداعية صرفة ،تهدف الى نقد الذات والاستفادة من أخطا ء وتجارب الماضي واستكناه المستقبل كل ذلك وفق رؤية فنية اسقاطية تربط الماضي بالحاضر** [8]"وعليه فان توظيف التاريخ لم يعد وسيلة للتعليم والاخبار ولا خدمة للتاريخ بحد ذاته في قالب مشوق للقارئ انما صار اعتماده خدمة للرواية نفسها حيث أنها الرواية باعتمادها عليه "**دخلت مرحلة استثمار التاريخ واسقاطها واعيا يرتهن التاريخ**

[8] -محمد حسن طبيل تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الاداب، قسم اللغة العربية، اشراف: يوسف موسى زرقة،2016، ص158

فيه الى ما هو فني بالدرجة الأولى وفيه يتهيأ التاريخ قناعا "[9]، فالرواية الجديدة صارت تستعين بالتاريخ لتعزيز مضامينها وشحن الخطاب الروائي شكلا ومضمونا.

5-قراءة في رواية الرماد الذي غسل الماء بين الشكل والمضمون:

رواية الرماد الذي غسل الماء للكاتب الجزائري عز الدين جلاوجي، من اصدار دار هومة للنشر والتوزيع بالجزائر ،صدرت طبعتها الأولى سنة 2005، ومن أهم دلالات العنوان نذكر اعتماده مصطلح الماء الذي يحيل الى زمن الماضي والقيم النبيلة والنقاء ،أما الرماد فيحيل الى الزمن الحاضر حين تفشت مظاهر القتل والاجرام والعنف بمختلف أشكاله والهدف من عقد قران بين هاته الثنائية الضدية هو تبيان أوجه الاختلاف بين الزمن الماضي والحاضر ،وبعودتنا للرواية نقول استهلها الكاتب بإهداءا على شاكلة شعر حر فيه دعوة للتضحية من أجل عيش حياة كريمة ولبغ عدد حواشيها 90حاشية ، ان القارئ لهاته الرواية سيتخلص أن أحداثها تدور في مدينة عين الرماد أما موضوعها "الجثة الهاربة

[9] -نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث الأردن، ط1 ،2006، ص123

"، وتبدأ أحداث الرواية بخروج فواز ابن عزيزة الجنرال من الملهى مخمورا ،في جو ماطر واصطدامه بالشاب عزوز المرنيني ليسقطه قتيلا وفي هاته الأثناء يكون كريم السامعي متوجها لمنزله، ليصادف هاته الجثة على قارعة الطريق يتوجه لمركز الشرطة للتبليغ عن الحادثة ولكن عند عودته الى نفس المكان رفقة الضابط سعدون وأعوانه يتفاجأ باختفاء الجثة ،ومن هنا تنطلق رحلة البحث عن هاته الجثة ثم يتحول كريم السامعي من مبلغ عن الحادثة الى أول مشتبه به في قضية القتل ،أما فواز تساعده والدته عزيزة في إخفاء الجثة ،وتسعى جاهدة لإبعاد الشبهات عنه ، فتنقله مباشرة للمشفى الذي يعمل به فيصل الذي ساعدها في تقديم شهادة زور لتثبت مكوث ابنها بالمشفى خلال فترة وقوع الجريمة كدليل قاطع لإثبات براءته وبعد غياب عزوز طويلا عن المنزل يتجه أخوه سمير للتبليغ عنه وهنا تزداد الأمور تأزما وتعقيدا لتحوم الشبهات حول كريم السامعي الذي أوقعته عزيزة في مكيدة ضده مفادها تورطه في الجريمة فيدخل السجن من غير جرم وهذا المصير لاقاه زميله فاتح اليحياوي. وفي هذا دلالة على انتشار الفساد.

6-تمثلات التاريخ في راوية الرماد الذي غسل الماء بين زمن الثورة والعصر المعاصر :

6-1 تاريخ الثورة في رواية الرماد الذي غسل الماء:

شكلت الثورة في رواية الرماد الذي غسل الماء اللبنة الأولى لانطلاق الأحداث فيها هذا ما جعل بعض الشخصيات تستحضر تاريخ الثورة بكل تجلياته وسلبياته والسبب في ذلك أن هاته الشخصيات لم تجد راحتها ومبتغاها في هذا الزمن الحاضر رغم انتشار الثراء هذا ما جعل سالم يتذكر أيام الماضي التي لازال يحن اليها كونها كانت أيام تحمل في طياتها معاني الحب رغم قلة الإمكانيات يقول **جلاوجي** :" **تأمل الأب سالم بوطويل الوجوه الجامدة وهو يسند خده على راحة يده ويبحث عن الدفء الذي كان يشيع في القلب حرارة أيام كان في أسرة أبويه لم تكن عندهم ...ولا سيارة ولا تلفزيون ولم يكونوا يأكلون في الطاولات والكراسي ولا ينامون على الأسرة ولكن كان للحياة طعم ومذاق.**[10]"وهو بذلك يحن للزمن الماضي وتاريخ أجداده حين كانت أبسط الأشياء تحقق السعادة فعائلته الصغيرة خالية من المودة التي تجمع العائلات البسيطة لأن زوجته لا تهتم به وكان تركيزها على مظهرها وثروتها فحسب ،كما تصور هاته الرواية تفشي الخوف وانعدام الأمن في زمن الحاضر بسبب عدم استقرار الأوضاع في الجزائر آنذاك خلال سنة 1994 كما تروي

[10] -عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، ط 1، ص44-45

الرواية حالة الخوف التي سادت على قلب "عبد الله السامعي "وعائلته حين تأخر الابن "كريم عن موعد دخوله للمنزل حيث يقول جلاوجي :"**وأعادت زوجة كريم الاتصال للمرة الثالثة دون جدوى ...في الأمر ان ليس من عادة كريم أن يتأخر عن الرجوع الى البيت وليس من عادته أن لا يرد على الهاتف أو يغلقه**[11] "يجسد هذا المقطع حالة الخوف كان يسود الجزائر ابان العشرية الدامية لدرجة الانقطاع عن الشارع قبل العاشرة ليلا وهذا ما يعرف بحضر التجوال "**منذ ساعتين لم تمر سيارة واحدة في هذا الشارع الناس ينقطعون عن التنقل بعد العاشرة ليلا ،الا للضرورة القصوى وسكتنا والخوف يلف على عنقيهما حباله الغليظة فهما تدركان أن ظروف البلاد تحت ظروف حالة الطوارئ واشتداد هول الإرهاب أصبحت صعبة جدا وأن التنقل ليلا يعد مغامرة خطيرة العواقب وكثر ما حصد الرصاص أرواحا بريئة ليست في الحابل ولا في النابل وليست في العير ولا النفير لكن ساقها قدرها الى موت ظالم** "[12]فالزمن الحاضر من خلال هذا المقطع صار مرادفا للموت وكأنه قارب يطلق أشرعة الموت في كل مكان حيث ساد الخوف وانعدم الأمان ،يقول خليفة "

[11] -عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، (المصدر السابق)، ص19

[12] - المصدر نفسه، ص20

كل شيئ جائر...وكل شيء صار إرهابا " [13] وفي هذا دليل على الخيبة وتفشي القتل والموت في كل مكان ،في حين نجد "كريم السامعي حزينا في هذا الزمن فمجرد تبليغه للشرطة عن قضية القتل صار هو أول مشتبه به في الحادثة بل متهما بالقتل حيث يقول : **"كانت نيتي فعل الخير ،ويظهر أن فعل الخير في هذه الأيام ليس بالأمر الهين"** [14] ومنه نلاحظ انتشار ظاهرة القتل و مشاعر الخوف و تفشي القتل على أحداث الرواية مما شكل توترا فيها فصار النص الروائي مصورا لزمن تفشت فيه الجريمة والإرهاب مع انتشار القيم الدنيئة ن قبل المركز وتنهار القيم المثلى فضاع الحق ولم يعد فعل الخير الا خرق للقوانين.

6-2تمظهرات التاريخ العربي المعاصر في الرواية "زمن الرماد ":

جمع عز الدين جلاوجي بين عدة رموز نذكر منها الماء والرماد فطالما كان للماء دلالة على القيم النبيلة والحقيقة والنقاء والطهر وهو ما يتوافق مع الزمن

[13] -المصدر نفسه، ص27

[14] -المصدر نفسه، ص28

الماضي ،أما الرماد ففيه دلالة على النار والفتن وقد وهو ما يتوافق مع الحاضر وتولي الخيبات والانكسارات، بسبب سيطرة الخونة على السلطة وتهميش المثقفين فالحاضر صار ملونا بمعاني المكر والخديعة وهيمنة السلطة المستبدة أمثال شيخ البلدية ،عزيزة الجنرال اعتمد الروائي عنوان الرماد الذي غسل الماء لإثارة التشويق في نفسية المتلقي وهذا القلب للموازين المتعارف عليها، وهذا القلب انما فيه دلالة على عكس القيم في الحاضر فالماء في وقتنا الراهن فقد مهمته المنوطة وأصبح الزمن زمن للانتشار الرماد وهو ما يوحي للموت والفجيعة والفناء فزمن الماء صار مهمشا ليتجلى الحاضر بكل مفارقاته، أما الماضي فلم يعد له وجود في الذاكرة في الذاكرة كونه صار زمن غابر في الأحلام ليتشكل لنا صراع بين الزمن الهامشي الماضي والزمن المركزي الحاضر، ومن ثم يتفوق زمن الرذيلة على القيم ويتولى زمام الأمور ومن الشخصيات التي لا زالت محافظة على القيم نذكر فاتح اليحياوي ،كريم السامعي ،الضابط سعدون ولكن جزاءها الكبت من طرف السلطة المركزية وعليه أن الزمن الحاضر الرماد صار مقابل للماء ليفوق زمن الرماد المركزي على الماء الهامشي الذي ولى دون رجعة وينتصر بذلك الحاضر على الماضي ،حيث نجد أن الكاتب عقد مقارنة بين الأماكن في زمن الماء وزمن الرماد أي بين الحاضر والماضي ونجد في الحاشية 1 مقارنة بين ماضي وحاضر ملهى الحمراء "**يقع ملهى الحمراء في جوف الغابة ،تحضنه أشجار الصنوبر**

والفلين من كل حدب وصوب ،كقلب محاط بالأضلاع ،كان زمن الاستعمار لحاكم المدينة ...وصار بعد الاستقلال مركزا للبحوث الزراعية وتنازلت عنه الدولة لجنرال متقاعد ليحوله الى ملهى يؤمه كبراء القوم وساداتهم "[15]وهنا يجعلنا الكاتب نستحضر صورة مكان ملهى الحمراء بالماضي زمن الاستعمار وبعد الاستقلال ليتحول معلم تاريخي من قصر حاكم لمركز للأبحاث الزراعية يتحول حاليا الى ملهى كبير يعكس مدى الفساد الأخلاقي الذي انتشر في البلاد .وفي الحاشية الثالثة بين لنا الفرق بين ماضي مدينة عين الرماد وحاضرها حيث يقول :" **ومدينة عين الرماد كالموس العجوز تتفرج على ضفتي نهر أجدب تملأه الفضلات التي يرمي بها الناس والتي تتقاذفها الرياح ،تتدرج فيها البنايات على غير نظام ولا تناسق ..يسد عليها الريح من الجنوب أشجار غابة صغيرة ... وتمتلئ مدينة عين الرماد بالحفر وببرك المياه القذرة يتوسطها سوق منهار السور ... الى جانب من جنوبها تمتد مساحة كبيرة مستوية تلتصق بالمدينة ثم تغوص بالغابة وحدها هذه الجهة تقوم بها بنايات أنيقة منظمة أقامها الفرنسيون يوم أسسوا المدينة التي سموها المدينة الجميلة ،وما فتئت الكتل الاسمنتية تتكتل حولها كخلايا سرطانية حتى شوهت كل**

[15] -عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، (المصدر السابق)، ص12

ما حولها من هكتارات ضخمة "[16]ففي هذا المقطع فضح للمسؤولين الذين استنزفوا خيرات البلاد واستغلوها لمصالحهم وأفسدوها بمعاملاتهم الإدارية القائمة على النهب والخداع أما الحاشية 23 تحيلنا الى المسرح البلدي وماضيه مقابل حاضره :" **المسرح البلدي تحفة المدينة بناه الفرنسيون قبل الثورة وزرعوا فيه الحياة حين ينقلون اليه حركتهم ليلا ويضخون شرايينه فنا وابداعا ومنذ غادر الفرنسيون المدينة تسللت اليه يد اليأس والقنوط وتغشاه حزن عميق رهيب لف الجدران البيضاء والأبواب البنية والتماثيل التي تثبت من الخارج رمزا لآلهة الفن والجمال"**[17] ،كما يعود بنا جلاوجي الى ماضي بعض الشخصيات كشخصية المثقف فاتح اليحياوي، أما في الحاشية 4 يأخنا جلاوجي لاستحضار ماضي فاتح اليحياوي وطفولته :"**وفاتح اليحياوي هو ابن خالة كريم السامعي لم تجمع بينهم المدينة الواحدة فقط بل والبيت الواحد أيضا ،لقد قضيا الطفولة معا لا يكادان يفترقان ليل أو نهار حتى اضطرت العائلتان الى تسجيلهما في متوسطة بين الحيين وكان التنافس بينهما على أشده لكن ميولهما اختلفت ففي الوقت الذي اختار فيه كريم السامعي دراسة الزراعة**

[16] -المصدر نفسه، ص14

[17] - عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، (المصدر السابق)، ص61

مال فاتح اليحياوي الى دراسة علم الاجتماع والأدب والفلسفة [18]" وهو بذلك يشير الى تلك المحبة والأخوة التي جمعت بينهما في زمن الماضي الذي لم يفترقا فيه في حين كانت المنافسة بينهما شريفة ولكن اختلفا في التخصص العلمي في مرحلة الجامعة فلم يكن للعداء وجود ولا للقتل حضور ،في حين تحيلنا الحاشية الأولى الى بدايات شباب "فاتح اليحياوي "قبل تعرفه على عزيزة الجنرال **"كان فاتح في سنواته الأولى وقد عين أستاذا لعلم الاجتماع بالجامعة يفيض حماسا ويتدفق حيوية فألهب العقول والقلوب ولم يكتف بفلسفات نظرية بل راح يقود الطلبة للاحتكاك بالواقع ويفعه للتفاعل معه وتغييره وكانت عزيزة الجنرال العقبة الكؤود التي تحدثت معه واعتبرته خطرا عليها ومازالت خلفه حتى زجت به في السجن "** [19] وهنا نلاحظ أن هاته الشخصية المثقفة همشت ودمرت من قبل عزيزة الجنرال ، وبدخول فاتح اليحياوي السجن قرر الابتعاد عن كل شيء وفضل الانزواء بعيدا عن الناس والمجتمع عقب خروجه من السجن وكان يتخذ من بيته صومعة يمارس فيها رهبنة العلم والفكر والثقافة **"وقد قضى فاتح اليحياوي سنوات معتزلا الناس يقضي وقته في القراءة**

[18] - المصدر نفسه، ص21

[19] -المصدر نفسه، ص43

والتأمل وسماع الموسيقى "[20]ففي هاته المقاطع حاول جلاوجي من خلالها عقد مقاربة بين ماضي وحاضر هاته الشخصية المثقفة فقد تحول من شاب منفتح الى شاب انطوائي منعزل عن العالم كما أنه يعيدنا الى ماضي لعلوعة التي كانت تعاني الفقر والعوز وحاضرها الذي أصبحت فيه من الشخصيات الغني المعروفة :**"لا أحد يدري من أين جاءت لعلوعة ولم يكلف أحد نفسه بطرح هذا السؤال فقد ملكت على الجميع نفوسهم وقلوبهم وشغلتهم بجمالها ،فصارت حديث مجالسهم وسمرهم ،.. ولكنها هي تذكر جيدا أنها درجت صغيرة في ضاحية منعزلة من ضواحي عين الرماد ،وتذكر ذلك الصباح الذي كانت رفقة أمها في السوق تجمعان فضلات الخضر والفواكه، لتعودا بها مساء الى بيتهما القزديري المعزول ،تذكر حين القتهما السيدة جميلة وكيف راحت تحدق في الصبية وفي عينيها دهشة قائلة ترمين الدر في الزابل وتدثرينه بالخرق البالية ؟،عقابك عند الله عسير بيعيني الفتاة ومدت يدها فأمسكتها ودق قلب الأم خوفا فتشبثت بها ...واتفقا أخيرا أن تمنحها مليونين كل شهر مقابل أن تعيرها لعلوعة أربعة أيام في الأسبوع وكانت لعلوعة في ثيابها البالية شمسا ملفوفة بالكآبة ولم تمض الا شهر حتى صارت لعلوعة حديث الناس والقصور والجرائد والقنوات وصارت لعلوعة الراقصة محج الولاة والوزراء**

[20] - المصدر نفسه، ص30

والجنرالات والأثرياء وتحدث عنها مسؤول كبير قائلا لقد رفعت راية الوطن في دول العالم وقل ممثل الثقافة جبينها [21]" وهنا نلاحظ أن لعلوعة لازالت تتذكر ماضيها ذاك الماضي الذي كانت فيه عفيفة عن الرذيلة وكأنها تحن اليه لكن سطوة المال والشهرة منعتها من تلك القيم التي كانت تتميز بها لتتحول الى راقصة وهي بذلك تستحضر تحولها من شخصية فقيرة مهمشة الى شخصية مشهورة يتمنى الجميع رؤيتها ،فصارت من الشخصيات المركزية ،و في هذا المقطع وصف للصفقة التي دارت بين الأم والسيدة جميلة ليشي هذا المقطع بزمن الفقر رغم أنه زمن رمادي، الا أنه يعكس زمن الصفاء فرغم فقر لعلوعة وأمها في الزمن الماضي ،الا أنهما كانت تعيشان بعرق جبينهما ولكن الحاضر أغرى الأم بالمال ولعلوعة بالشهر ة فابتعدتا عن الطريق الصواب في زمن يعبث بالقيم وكل شيء فيه صار قابلا للعرض والطلب .

6-3- تاريخ زمن الماء واستحضار الذكريات الجميلة في زمن الرماد :

لقد كانت المرأة عند كل من سالم وخليفة ملجأ حميميا يحتميان به من قهر الواقع ،فمن هاته المواقف نذكر هذا المقطع الذي يجعلنا نستحضر ذكريا ت سالم في الزمن الماضي :" **لماذا لم يتزوج ذهبية بنت الطاهر وكانت رفيقة صباه ؟،ورفيقة**

[21] - عز الدين جلاوجي ،الماد الذي غسل الماء ،(المصدر الساق)، ص13

أيام الدراسة ؟،لماذا لم يجرؤ ويصيح في الجميع اني أحبها ولا أريد غيرها ؟،وانسابت ذاكرته تعود به الى المحطات الأولى التي بدأ قلبا هما يخفقان بالحب ،وبدأ كل منهما يختصر العالم في الأخر ..لم يجرؤ كي يقول لها أحبك ولم تجرؤ هي أيضا ولكن كل نبضة في جسديهما كانت تدل على ذلك ...في العيون ..والخدود ... وحتى في الباس ونسمات الهواء التي كانا ينشقا ن "[22] ف في هذا المقطع نوع من التساؤلات التي كانت مسيطرة على ذهن سليم فسالم لم يتزوج من ذهبية رغم حبه لها لكنه يلعن الزمن الحاضر الذي قضى على أحلامه فيقول ناقما "**اللعنة على هذا الزمن** [23]" وتزداد مأساته باقترانه بعزيزة الجنرال التي لم يتزوجها برغبته ،فقد نغصت حياته وحولتها الى جحيم كونها كانت تمثل المرأة الحديدية التي يحسب لها الجميع ألف حساب ومثال للمرأة التي همشت زوجها وانتقصت من قيمته يقول **جلاوجي :"حين كانت عزيزة الجنرال تنزل الدرجات بسرعة لم تكن تأبه برغاء زوجها سالم وكثرة أسئلته "**[24]فالزمن الحاضر قضى على كل القيم الجميلة حتى الرجولة تم اغتيالها ولم يعد الرجل حاملا تلك القوامة التي عرف بها " **كانت عزيزة قد خرجت بالسيارة من المراب**

---

[22]-المصدر نفسه ،ص18

[23] -عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، (المصدر السابق) ، ص24

[24] -المصدر نفسه، ص11

..وكانت الأمطار ما زالت تتدفق على وجه الأرض كأن السماء احتقنت دهرا كاملا وكان زوجها قد كف عن أسئلته التي لا طائل من ورائها وهو يجلس بجانبها كالتابع الأمين "[25] فلم يعد باستطاعت سالم تحمل زوجته عزيزة التي دنست كل قيم الرجولة فيه وهذا ما يؤكده هذا المقطع **"ابتلع سالم ريقه وتمنى لو مد أصابعه فخنقها ..من أي طينة هذه المرأة اللعينة ؟،وأي قدر رماها في طريقه ؟،" وهنا نلاحظ أن علاقتها صارت شبه مستحيلة ولم يجد سالم حلا لما يعانيه سوى استرجاعه لذكريات الماضي هروبا من القسوة التي بات يعيشها وهو بذلك يرى أن الحاضر لم يقدم سوى الخيبات "**[26] فالحاضر صار مرادفا للألم والخيبة وغياب القيم المتعارف عليها حتى الحب لم يعد له وجود في هذا الزمن وهذا ما يجعله يستحضر ذهبية مرارا **"لو تزوجت ذهبية بنت الطاهر هل أعيش كل هذه التعاسة ؟،ونسي بدرة ووليدتها الصغيرة.. ونسي أنه يسوق سيارة وأنه عائد الى البيت ..لقد عادت به الذكرى الى أيام الطفولة واليفاعة حين كان يرى العالم كله ذهبية ..أين هي الان وماذا تفعل ؟"**فذهبية تمثل ماضيه وذكرياته فلا يزال متعلقا بها رغم زواجه من عزيزة **" كلما تذكر سالم بوطبيل ذهبية بنت الطاهر تذكر قول الشاعر وما الحب الا للحبيب**

[25] - المصدر نفسه، ص11

[26] المصدر نفسه، ص204

الأول وكلما ردد البيت تمتم "هذا أصدق بيت قر أته "[27]،في حين أرغم خليفة على الزواج من فطومة : "**فطومة العقيم التي تزوجها ..بعد الحاح ولديه عليه لتقوم على شؤونه وتؤنسه في وحدته ،فلا هي فعلت هذا ولا فعلت ذاك ،ولا تركته يهنأ ويطمئن ،ولم تكن الا بديلا سيئا عن زوجته ..طويلة كانت فارغة الطول ،نحيفة شديدة النحافة لا كاد تنزع خمارها عن شعرها** "،[28]فلم يجد خليفة في هاته المرأة الصفات التي تميزت بها زوجته المتوفاة مما جعله ينفر منها ويحن الى زوجته التي لا يمكن مقارنتها بها "**وكثيرا ما كان خليفة يجلس في وحدته وفي عمله ويغني موالـه الخاص الذي ألفه ولحنه هو بنفسه ضيعت حمامة وضيعني الغراب واش جاب الغزالة للكلب المجراب** "[29] ،ومن خلال هذا المقطع نلاحظ أن هاته الزوجة لم تجلب سوى التعاسة لخليفة كونه اعتمد الحمام والغراب اللذان يدلان على الحزن والوحدة ، فهي لا تقارن بزوجته التي لازال يفتقدها ويتحسر على فراقها حيث نجده يقول لوالديه كريم وبدرة في الوقت الذي رغبا بتزوجيه بعد وفاة زوجته : "**جيلنا أوفى من جيلكم ليس من السهل أن ينسى الواحد منا زوجته بمجرد أن تموت "فخليفة يربط**

---

[27] - المصدر نفسه، ص207

[28] -عز الدين جلاوجي، الرماد الذي غسل الماء، (المصدر السابق)، ص28

[29] -المصدر نفسه، ص28

القيم السيئة بجيل الزمن الحاضر من خيانة وغدر في حين يقرن الوفاء والصدق بجيل قد ولى وهو جيل الزمن الماضي ولكن في الأخير يستلم لقرار والديه ويتزوج من فطوم لإرضائهما " [30]ولكن رغم رفضه لهذا الزواج تزوج من فطومة العقيم إرضاء لوالديه ،فلم يكن يريد ذرية ولا جمالا ولا حبا جديدا ،كان يريد أن يرضي والديه فقط ،وليعيش على ذكريات الحب الأول وعليه نستخلص أن للمرأة قيمة مركزية عند خليفة وسالم كونها رمز للزمن الجميل وهذا ما تجسد في شخصية ذهبية وزوجة خليفة المتوفاة في حين أن عزيزة الجنرال وفطوم العقيم ترمز للحاضر العقيم والعفن فهي معادل موضوعي لزمن لا جدوى منه لذلك نجد أن خليفة كان دائما يستحضر تلك الذكريات الجميلة مع زوجته المتوفاة .

[30] - المصدر نفسه، ص30

-خاتمة:

-اختلف مفهوم الخطاب من عصر لآخر ولكن يتفق جل العلماء على أن الخطاب مرادف للكلام سواء أكان نص كتابي أم شفهي.

-ظهر سرد ما بعد الحداثة نتيجة للتعقيد الذي عاشته المجتمعات في ظل دم استيعاب الواقع

-هناك علاقة بين الرواية والتاريخ كونه صار خادما للرواية ومشكلا أحداثها باعتماد على التخييل، مما جعلها تمثل ميثاقا يعتد به لتذكر أحداث مضت.

-يتجلى مضمون رواية الرماد الذي غسل الماء في أنها تبين كيفية تهميش المثقفين.

-تعكس هاته الرواية مدى الاختلاف بين زمن الماضي والحاضر.

-نلاحظ احتفاء النص الجلاوجي بما يذكرنا بتاريخ أجدادنا، إضافة لثراءه بالمقاطع التي تعود بنا الى فترة العشرية الدامية مما جعلنا نستذكر تلك المرحلة مع الروائي، كما نلاحظ تفشي الاغتراب في تلك الفترة

-براعة عز الدين جلاوجي في استثمار التاريخ الجزائري ليسرد لنا أحداث تاريخية لشخصيات الرواية ودمجها مع تاريخ للعشرية الدامية